

التعليم في نجد

قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

إعداد

الدكتور عبد الله بن يوسف السبل

الأستاذ المشارك بكلية العلوم الاجتماعية

الأمين العام

لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ،

أعد هذا البحث بمناسبة انعقاد مؤتمر الحضارة الآسيوية والأوربية في جامعة هاواي في مانوا بهواي بالولايات المتحدة الأمريكية، لذا تطلب الأمر تقديم تعريف جغرافي موجز وبسيط لإقليم نجد، وعرض مقتضب لتاريخ بلاد نجد منذ سكنت قبيلة بني حنيفة حواضر اليامة حتى قيام الدولة السعودية الأولى كما سيجد القارئ عناية بالتاريخ الميلادي إلى جانب التاريخ الهجري مراعاة لطبيعة عامة من سيحضر المؤتمر ممن لا يؤرخون بالتاريخ الهجري .

وقد تم إلقاء عرض موجز للبحث في اثنتي عشرة دقيقة، واستمرت المناقشة قرابة عشرين دقيقة طرحت خلالها مجموعة من الأسئلة العلمية الموضوعية من المستشرقين المشتركين في المؤتمر وأجيب عليها، وذلك في الجلسة الصباحية للمؤتمر من يوم الاثنين ١٩/٣/١٤٠٣ هـ الموافق ١٩٨٣/١/٣ م.

وتعميماً للفائدة تقرر نشره في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء، أحد فروع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . ونسأل الله العصمة من الزلل في القول والعمل .

معالم تاريخ نجد

٦٠٠ - ١٧٤٤ م

نجد :

تعددت أقوال علماء الجغرافيه المسلمين في التحديد الاقليمي لمنطقة نجد^(١)، إلا أن هذا الاسم أصبح يطلق في الوقت الحاضر على المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية حيث تقع العاصمة «الرياض» .

أما تاريخ نجد فان الباحث فيه يواجه عنتا نتيجة ندرة المصادر وشح المعلومات عن القرون الخمسة الأولى للهجرة (٧ - ١١ م) وربما انعدامها بعد ذلك حتى بدأت كتابة التاريخ المحلي تظهر في القرن العاشر الهجري (١٦م) ومن هنا فان الباحث في تاريخ نجد خلال القرون العشرة السالفة (٦ - ١٦) لن يجد من بين روافد مصادر تاريخ نجد كتابا متخصصا يتناول تاريخ هذا الجزء من جزيرة العرب بأدنى حظ من التفصيل .

والمادة للتاريخية عن بلاد نجد في هذه الفترة متناثرة في بطون كتب التاريخ والتراجم وكتب الأنساب والمعاجم الجغرافية وكتب الأدب، وهي عبارة عن نتف من الأخبار غير المترابطة ومعطياته التاريخية محدودة .

ويجد الباحث في المصادر العربية القديمة تعاورا بين اسمي نجد واليامة وخاصة في القرون ما بين السادس حتى الحادي عشر الميلادي، وربما غلب ذكر اليامة على نجد، حيث كان اسم اليامة أوسع في مدلوله الاداري من نجد، إذ أصبح اسم اليامة في القرن الثالث الهجري (٩ م) يضم إداريا عدة أقاليم في الجزيرة العربية^(٢)، أما الآن فقد انحصر اسم اليامة في بلدة تقع الى الجنوب الشرقي من الرياض وتبعد عنها حوالي ٦٠ ميلا .

(١) انظر على سبيل المثال: الامام الحربي: كتاب المناسك وطرق الحج ومعالم الجزيرة، نشر دار اليامة، الرياض ١٩٦٩م، ص ٥٣٢ - ٥٣٣، الأصفهاني: بلاد العرب، نشر دار اليامة، الرياض ١٩٦٨م، ص ٣٢٧، البكري:

معجم ما استعجم ، ط ١، القاهرة ١٩٤٥م، ١٣/١.

(٢) الأصفهاني: بلاد العرب، ص ٣٢٥.

وإذا تجاوزنا الأساطير التي يرويها المؤرخون عن تاريخ منطقة اليمامة في العصور القديمة فإنا نجد أن القبائل العربية كانت تنتشر في إقليم نجد، وتعيش عيشة غير مستقرة تتبع مواقع المطر ومنابت الكلاً ومواطن الخصب ، وتتجمع في فصل الصيف حول موارد المياه .

وحوالي منتصف القرن الرابع الميلادي سكن بنو حنيفة^(٣) حواضر اليمامة^(٤)، وعرف منها «حجر والخضرمة وقرآن وملهم»^(٥) وتميزت هذه المراكز الحضارية بخصوبة أرضها ووفرة انتاجها الزراعي^(٦) .

وعندما وصلت الدعوة الاسلامية في العقد الثالث من القرن السابع الميلادي إلى اليمامة كانت الزعامة فيها لهوذة بن علي الحنفي وكان يدين بالنصرانية وقد انتشرت بين بني حنيفة وكانت لهم كنيسة في بلادهم. ولم يعتنق هوذة الإسلام ومات على دينه^(٧)، بينما أسلم ثامة ابن أثال الحنفي زعيم بلدة «حجر» وله صحبه^(٨)، وقدم وفد من بني حنيفة على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم معلنين اسلامهم^(٩) .

ولما توفي الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان بنو حنيفة من بين القبائل التي ارتدت

(٣) هو: حنيفة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل من ربيعة إحدى القبائل العدنانية المعروفة وهذه القبيلة هي التي يرجع إليها آل سعود - حكام الدولة السعودية - في أرجح قولى النسابة .

(٤) ابن حنن: جهرة أنساب العرب، نشر دار المعارف بمصر عام ١٩٦٢م ٣٠٩/١ .

(٥) حجر، وتسمى أحياناً «حجر اليمامة»، مدينة قديمة قامت على أنقاضها مدينة الرياض عاصمة المملكة السعودية، الخضرمة: وقد ترد في المصادر باسم «جوالخضام» إحدى قواعد إقليم اليمامة في القرنين (٧،٦م)، وفي عهد الدولة الاخيزرية (٨٦٨ - ١٠٧٧م تقريباً) أصبحت العاصمة الوحيدة للدولة، أما الآن فقد اندثرت وقام في وضعها قرى: اليمامة والسلمية والسيح. قرآن: هو ما يعرف الآن بالقرينة في إقليم الشعب، إلى الشمال الغربي من الرياض وتبعد عنه حوالي ٧٠ ميلاً. ملهم: لاتزال باقية بهذا الاسم وتبعد عن الرياض ٩٠ ميلاً إلى الشمال الغربي منه .

(٦) الاضطحري: المسالك والممالك، نشر دار القلم القاهرة ١٩٦١م، ص ٢٣، ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ط بريل - ليدن ١٣٠٢هـ، ص ٢٨، ٢٩، باقوت: ٢٢١/٢ - ٢٢٣، ٣٧٧، ٣١٨/٤ - ٣١٩، ١٩٥/٥ - ١٩٦، ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٧) البكري: ١٠٦٣/٤، جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط ١ بيروت ١٩٧٠م، ٢١٣/٤ - ٢١٨ .

(٨) ابن حنن: ٣١٢/١ .

(٩) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ط ١، مطبعة الآداب - النجف عام ١٩٦٧م ٩٣/١، ابن هشام، السيرة النبوية، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ١٨٧/٤ .

عن الإسلام^(١٠)، إلا أن الجيش الاسلامي بقيادة خالد بن الوليد تمكن من ارجاع هذه القبيلة إلى حظيرة الإسلام^(١١)، وعيّن (سمرة بن عمرو العنبري) من بني تميم^(١٢)، واليًا على اليمامة عام ٦٣٣ م، ثم عين الخليفة أبوبكر (سليط بن قيس) واليًا عليها^(١٣).

ظل تعيين الولاة على اليمامة في عصر الخلفاء الأربعة أمرا متعارفا عليه . وكثيرا ما يضم البحرين وربما عمان الى والي اليمامة^(١٤).

وعندما توفي معاوية بن أبي سفيان اجتاحت الجزيرة العربية ثورتان أولاها في الحجاز بزعماء عبدالله ابن الزبير في محاولة أن يستعيد الحجاز مركزه الذي خسره بانتقال مركز الخلافة خارج الجزيرة العربية . والآخرة في نجد قام بها الخوارج من بني حنيفة ، وأبرز زعمائهم (نجدة ابن عامر الحنفية)^(١٥) الذي تنسب اليه «النجدات» احدى فرق الخوارج واستطاع ان يمد نفوذه في أرجاء واسعة من جزيرة العرب شملت - بالإضافة الى نجد - منطقة البحرين وعمان واعترف بن ابن الزبير^(١٥)، واستمر الخوارج يحكمون هذه المنطقة حتى قضت قوات الحجاج بن يوسف على حركة الخوارج^(١٦) عام ٦٩٢ م في جزيرة العرب ، ومن ثم انضوت المنطقة تحت حكم الدولة الأموية .

وقد تعاقب على حكم اليمامة عدة ولاة أشهرهم (ابراهيم بن عربي اللبشي الكناني) الذي ولي اليمامة في عهد : عبدالمكك بن مروان وابنه الوليد^(١٧) . كما وليها في عهد يزيد بن عبدالمكك وضم اليه البحرين^(١٧) .

ولما قتل الوليد بن يزيد بن عبدالمكك عام ٧٤٤م انتهز بنو حنيفة فترة الضعف التي كانت تمر بها الدولة الأموية وقاد (المهير بن أبي سلمى الحنفية) ثورة ضدها وطردها الوالي

(١٠) خليفة بن خياط : ١٠٧/١ ، محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك ط ٢ ، دار المعارف بمصر، ٢٤٢/٣ ، ٢٧١ - ٢٧٣ .

(١١) خليفة بن خياط : ١٠٧/١ - ١١٥ ، الطبري ٢٨١/٣ - ٣١٠ .

(١٢) علي بن الأثير: أسد الغابة، الشعب - القاهرة، ٢٩٥/١ .

(١٣) ابن خياط : ١٢٣/١ .

(١٤) الطبري: ٤٧٩/٣ ، ٦٢٣ ، ٣٩/٤ ، ٨١ ، ٩٤ ، ١١٢ .

(١٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، نسخة مصورة عن طبعة بريل ١٨٧٠ ، ٢٠١/٤ - ٢٠٤ .

(١٦) الطبري: ١٩٣/٦ ، ابن الأثير: المصدر السابق، ٣٦٢/٤ .

(١٧) خليفة بن خياط : ٣١١/١ ، ٣٣٣ .

الأموي (علي بن المهاجر)^(١٨) واستقلوا بحكم المنطقة انطلاقاً من حقهم التاريخي في حكمها .

نجد في العصر العباسي :

لما سقطت الدولة الأموية عام ٧٥٠ م وقامت الدولة العباسية ازداد ضعف الاهتمام ببلاد نجد ، وأهمل بنو العباس أمرها يتضح هذا من فراغها قيادياً في فترات متعددة وعدم تعيين والٍ عليها .

وإذا استثنينا والي (اسحاق بن إبراهيم بن أبي حميضة) الذي عينه الواثق والياً على اليمامة والبحرين عام ٨٤٦م^(١٩) وانتعشت المنطقة في عهده فان جل من يعينون من الولاة على هذه المنطقة كانت ولايتهم شكلية، إذ إنَّ كثيراً منهم تسند إليه ولاية هذه البلاد بالتبعية إمّا : لمكة، أو للمدينة، أو للبصرة، ومن غير المتوقع أن يجعل والي مقره في بلاد نجد، بل المنتظر أن يجعله في إحدى المدينتين المقدستين أو في البصرة. وأحياناً يمنح بعض الولاة الولاية من الخليفة فلا يباشر مهام عمله بل يسندّها إلى شخص آخر يقوم بها وربما تركها بعض هؤلاء الولاة واكتفى بمجرد الاسم وقبض الخراج .

الدولة الأخيضرية :

لما آلت الخلافة إلى العباسيين لم تطب نفوس العلويين بذلك، إذ كانوا يرون أنفسهم أحقّ بالحكم منهم، فعدوهم مفتصبين ونازوههم العداء ووقفوا منهم موقف المعارضة والترصد وصاروا يحاولون الخروج عليهم كلما رأوا الفرصة مناسبة، إمّا لضعف الدولة، أو لانشغالها بفتن داخلية، أو بصدد غزو خارجي، أو لوجود قوة تساندهم في الخروج على الخليفة .

ولن نستعرض - في هذه اللمحة - محاولات العلويين أو ثوراتهم التي قاموا بها ضد العباسيين، وإنما نعني هنا الإشارة إلى ثورة (اسماعيل بن يوسف) من ذرية الحسن بن الحسن

(١٨) ابن الأثير: المصدر السابق، ٢٩٨/٥ - ٢٩٩ .

(١٩) الطبري : ١٤٠/٩ .

بن علي بن أبي طالب في مكة والمدينة^(٢٠) عام ٨٦٥م، وقيام أخيه محمد - المعروف بالأخضر - بعد وفاة اسماعيل ٨٦٧م بالأمر من بعده، ثم هزيمته أمام الجيش العباسي بقيادة (أبي الساج الاشروسي) وفراره إلى اليمامة^(٢١) وتأسيسه للدولة الأخيضرية فيها عام ٨٦٧م واتخاذها الحضرة عاصمة لها .

ومن هنا عرفت هذه الدولة بـ «الدولة الأخيضرية» وتعد - في ضوء المصادر المتوافرة لدينا الآن - أول كيان سياسي وإداري ظهر في نجد ، وتكاد المصادر - التي بأيدينا الآن - تجمع على أن بداية حكم الأخيضرين لليمامة كان عام ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م ، عدا ابن حوقل فقد أرخ ذلك بعام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م^(٢٢) ، أما نهاية حكمهم ففيه خلاف بين المؤرخين ، إلا أن الأدلة التاريخية تؤيد الرأي القائل باستمرار حكم الأخيضرين حتى بعد منتصف القرن الخامس الهجري^(٢٣) .

وبانحلال دولة بني الأخضر في اليمامة، أصبحت بلاد نجد مجزأة إلى أمارات صغيرة ارتبط بعضها بالدويلات التي قامت في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية واتخذت الاحساء عاصمة لحكمها وهذه الدويلات :

١ - الدولة العيونية : وتنسب إلى أول حكامها عبدالله بن علي العيوني من بني عبدالقيس الذي استعان بالخليفة العباسي القائم بأمر الله والسلطان السلجوقي (ملكشاه) ففضى على حكم القرامطة في المنطقة عام ١٠٧٥م^(٢٤) .

٢ - استمر الحكم في هذه الأسرة حتى انتزعه منهم بنو عامر بن عُقيل في منتصف

(٢٠) يعقوبي: تاريخ يعقوبي، نشر دار صادر ودار بيروت ١٩٦٠م ٤٩٨/٢؛ والطبري : ٣٤٦/٩.

(٢١) علي بن الحسين السعدي: مروج الذهب، نشر دار الأندلس - بيروت عام ١٩٧٣م ، ٩٤، ٩١/٤ ، وابن حزم: جبهة أنساب العرب، ٤٦/١.

(٢٢) محمد بن حوقل: صورة الأرض، نشر كرامرز ليدن ١٩٣٨م ص ٥٣.

(٢٣) للمزيد من التفصيل عن الأخيضرين، انظر «الدولة الأخيضرية» بحث لكانته نشر في العدد السادس من مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - الرياض ١٩٧٦م.

(٢٤) محمد بن عبدالقادر: تاريخ الاحساء ، ط ١، الرياض ، ١٩٦٠م ص ٩٨ - ١١٨.

القرن (٢٥) وقد حكم من هذه القبيلة ثلاث أسر : بنو عصفور (٢٦) ، وبنو جروان (٢٧) ، وبنو جبر (٢٨) ، أو آل اجود .

وفي الوقت الذي كان فيه الضعف ينخر في جسم دولة بني جبر نتيجة صراعهم مع البرتغاليين في عمان والقطيف كان الاتراك العثمانيون قد مدوا نفوذهم في البلاد العربية منذ عام ١٥١٦م واستولوا على الاحساء عام ١٥٥٥م (٢٩) .

وبدأ من الحملات التي قام بها أشراف مكة على بلاد نجد (٣٠) محاولة العثمانيين ايجاد نوع من النشاط العسكري في بلاد نجد يفوت الفرصة على أعدائهم البرتغاليين الذين كانوا قد احتلوا عمان فلا يفكرون في الوصول الى سواحل غرب الجزيرة عن طريق الصحراء ، ولاتبات وجودهم في حماية نجد حيث عهد اليهم السلطان سليمان خان بهذه المهمة (٣١) .

وخلال النصف الثاني من القرن «١٦» وطيلة القرن «١٧» يمكن اعتبار منطقة نجد مرتبطة - بشكل أو بآخر - بالعثمانيين عن طريق أشراف مكة، حتى دخلت الدولة العثمانية فترة انحطاط في عهد السلطان (محمد خان الرابع) مكنت قبيلة بني خالد من الاستيلاء على الاحساء (٣٢)

وفي أوج قوة بني خالد مدؤوا نفوذهم إلى نجد، وانحسرت سلطة أشراف مكة، وحين بدأت دولة آل سعود في الظهور عام ١٧٤٤م كانت حكومة بني خالد في الاحساء لا تزال قوية ولها نفوذ في بلاد نجد (٣٣) .

(٢٥) ابن خلدون، ٩١/٤ - ٩٢، القلقشندي: نهاية الأدب ، ط ١، القاهرة ١٩٥٩م ص ٣١٦.

(٢٦) القلقشندي: المرجع السالف، ص ٣٣٠.

(٢٧) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ط ١، القاهرة ١٩٦٦م ٧٥/١.

(٢٨) ابن عبد القادر: المرجع السالف ، ص ١٢٠ - ١٢١.

(٢٩) ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين - بيروت ص ٩.

(٣٠) لمزيد من التفصيل عن حملات الاشراف على نجد انظر: عبد الملك العصامي : سبط النجم العوالي، المطبعة

السلفية بمصر ٣٦٨/٤ - ٣٦٩، ٤٠١، ٤٦٤، محمد بن عمر الفاخري : الأخبار النجدية، تحقيق د. الشبل، نشر

جامعة الامام محمد بن سعود - الرياض ص ٦٢ - ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٧٠، ٧٢، ٧٥، ٧٨، ٨٦.

(٣١) العصامي: المصدر السالف ٣٣٠/٤.

(٣٢) عبدالله الشبل: تاريخ نجد والدولة السعودية، (تحت الطبع) ٧٨/١.

التعليم في نجد

إذا كنا نشكو من شح المعلومات عن الجوانب السياسية في تاريخ نجد، فإن المعلومات عن التعليم فيه تكاد تكون منعدمة نهائياً خاصة في الفترة من ٦٠٠ - ١٥٠٠ م ، لذا فإن ندرة المادة التاريخية ستفرض علينا حصر البحث في الفترة الواقعة بعد ١٥٠٠ م، وحتى عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

والإشارات التي سنتخذ منها أساساً للكتابة عن أساليب التعليم وطرقه تعتمد على الرواية الشفهية أكثر من اعتمادها على المادة المكتوبة، أما الجوانب الأخرى للتعليم فإدتها العلمية لها روافد كثيرة يأتي في مقدمتها الوثائق من مستندات وصكوك وفتاوى ورسائل ومؤلفات واجازات علمية، بالإضافة الى المعلومات المدونة عن التعليم والعلماء في كتب التراجم والتاريخ وفي ثنايا الشعر العامي، إلا أن هذه المادة مازال خامات أولية تحتاج الى يد أمينة قادرة على عمل صيغة تاريخية ترسم الصورة الحقيقية للحياة العلمية في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

أساليب التعليم وطرقه :

نتيجة لغياب السلطة، وعدم قيام حكومة تحمل الناس على الحق وتنظم شئونهم، فإن السمة المميزة للفترة التي نحن بصدددها هي سوء الظروف العامة، وضعف الامكانيات المادية، وضحالة الموارد المالية، وتردى الأوضاع الأمنية، ومن هنا فليس هناك تعليم حكومي نظامي. والصورة التي ترسمها الروايات هي أن التعليم الأولي كان أهلياً يعتمد على الجهود الفردية ومقصوراً على قلة من السكان الذين تسمح لهم ظروف السعي بحثاً عن لقمة العيش بأن يخصصوا جزءاً من وقتهم للتعليم، ولديهم القدرة على دفع الأجر الرمزي للمعلم، الذي غالباً ما يكون عينيّاً من المواد الغذائية التي يقاتنها أهل البلد وتكون من المنتجات الزراعية كالقمح والتمر تدفع في مواسمها وقد يهدي له ذوو اليسار بعض الملابس، ونادراً ما تكون الأجرة نقدية .

وليس هناك فصول دراسية أو مدرجات، وإنما يتبع نظام الكتاب حيث يخصص المعلم جانباً من بيته لاستقبال طلابه لتلقي التعليم، وقد يضطر إلى استئجار أحد البيوت ليلحقه بيته كمدرسة - إذا ما ازداد عدد الطلاب - .

وجرت العادة ألا يوزع الطلاب على فرق أو مستويات، لأنه ليس هناك سوى معلم واحد فقط يلقب (المطوع)^(٣٣) ويتولى تدريس جميع مواد الدراسة .

أما وقت الدراسة فيكون في الصباح الباكر مدة ساعتين أو ثلاث، وبعد الظهر لساعة أو ساعتين وتستمر الدراسة طيلة أيام العام ولا تعطل إلا في أيام الأعياد الإسلامية فقط .

أما الأدوات التي تستخدم للدراسة في المرحلة الأولية، فلا توجد مقررات مطبوعة - كما هي الحال الآن - والورق نادر الوجود، لذا فإن على كل طالب أن يحضر معه لوحاً من الخشب يعده النجارون لهذا الغرض ويطلّي بين الفينة والأخرى بمادة خاصة من الجبس أو الكروم الأبيض ليتمكن الكتابة عليه .

أما المرحلة المتقدمة فإن الشيخ يحدد لطلابها المقررات التي يدرسونها. ولما لم تكن الكتب متوفرة فإن على كل طالب أن يكتب نسخته من الكتب المقررة بخط يده .

والأدوات الكتابية المستعملة في تلك الفترة :

١ - الورق : أي القرطاس وقد وردت تسميته بالكاغد في شعر جبر بن سيار^(٣٤) وهو من شعراء القرن الحادي عشر الهجري (١٧م) وهذه الكلمة معربة . وقد يطلقون كلمة «الطلحية» كما جاء في شعر رميزان بن غشام^(٣٤) (ت ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م) على الورقة المستطيلة، وهو استعمال فصيح الأصل. وقد يستدل من استعمالهم كلمة «الكاغد» أنهم كانوا يستوردون الورق من العراق حيث إن هذه الكلمة تستعمل بكثرة هناك .

٢ - القلم : وقد ورد ذكره في شعر قطن بن قطن^(٣٥) الجبيري أحد أمراء عمان في القرن

(٣٣) المطوع أو المتطوع : في الأصل هو من يقوم بعمل أو يدفع مالا دون مقابل. وهنا إطلاق قصد به المتطوع، أي الطيع لله اشتقاقاً من الطاعة، لأن المعتاد في الذين يتولون عملية التعليم - في الغالب - ممن يسميهم البعض رجال الدين .

(٣٤) عبدالله الحاتم : خيار ما يلتقط، من شعر النبط ط ٣، الكويت ١/١٠٩، ١١١.

(٣٥) المصدر السالف ١/٤٤.

العاشر.الهجري^(٣٦) (١٦م)، كما ورد ذكر القلم في شعر الشعراء السابقين وغيرهم وكان القلم يصنع من أعواد الخيزران أو أعواد العصفور.

٣ - الدواة : وهى المحبرة، تردد اسمها كثيرا في الشعر العامي، وكان يصنعون الحبر محليا أما من العفص (Thuya)، أو من أذن الحمار التي تسمى باللاتينية (Onosma Ochioides)، أو من الزاج^(٣٧)، وهو نوع من الشب أسود اللون (Alum) واسمه الكيميائي : (Sulfate and Aluminium of Potassium).

مراحل التعليم ومجالاته :

ليست الحال كما هى الآن في وجود مراحل تعليمية مختلفة المستويات كالابتدائية والاعدادية والثانوية والجامعية والدراسات العليا، وإنما يمكن تصنيف مراحل التعليم الى مستويين :

١ - التعليم الأولي : وهدفه تعليم مبادئ القراءة والكتابة ومبادئ الحساب . أما المواد التي تدرس في هذه المرحلة فهم يعنون في هذه المرحلة بتدريس القرآن الكريم، والخط ، والاملاء وقواعد الحساب الأربع، ولا ترتبط هذه المرحلة بمدى زمني أو سنوات دراسية وإنما تعتمد على جهد الطالب واستعداده وإدراكه وعندما يحس ولي أمر الطالب أن ابنه قد أدرك أو حصل على الحد الذي يراه كافيا لسد الحاجة يسحب ابنه من الدراسة ليقوم بمشاركته في الزراعة أو التجارة أو المهنة أو الحرفة ويعينه على كسب الرزق. ولا يحصل الطالب في نهاية هذه المرحلة على أي نوع من المؤهلات العلمية، والتعليم في تلك الفترة مقصور على البنين فقط .

٢ - التعليم المتقدم : ويتولى التدريس فيها المشايخ من علماء الشريعة الاسلامية، ومركز التعليم في هذه المرحلة المساجد، وقد يقوم الشيخ بالقاء الدروس على طلابه النابهين في بيته ، ولا يتقاضى هؤلاء العلماء أي أجر على التعليم، بل يعدونه واجبا دينيا وضرية للعلم .

(٣٦) عبدالله بن حميد السالمي: تحفة الأعيان، بسيرة أهل عمان ط ٢، القاهرة ١٣٥٠هـ - ١/٣٣٥ - ٣٣٧.

(٣٧) عبدالله الحاتم : المصدر السالف، ١/٢٤.

وهدف التعليم في هذه المرحلة هو : الاعداد لتولي المناصب الدينية مثل: القضاء، والامامة، والخطابة، والتدريس ، والافتاء، وكتابة العدل، وتولي العقود مثل عقود الأنكحة .

والذين يتخرجون في هذه المرحلة تختلف مستوياتهم العلمية وألقابهم التي يحصلون عليها - كما سيأتي - .

أما مجالات هذا التعليم : فان سد حاجة المجتمع هي التي تتحكم في تقرير المواد ومن ثم يكون مدى الاقبال عليها، ولما كان المجتمع في تلك الفترة يعيش في شظف من العيش، وفي ضائقة مالية وفوضى أمنية فان مقتضيات البحث عن الرزق، ومسئولية الدفاع عن البلد تفرض على هؤلاء الاقتصار على علوم الضرورة في أقصى حدودها، ومن ثم جاء التركيز على دراسة الفقه باعتبار أحكامه القواعد التي تنظم المجتمع وتحكم جميع جوانب حياته . واذا كان هناك اهتمام ببعض العلوم الأخرى كالتفسير والحديث أو بعض العلوم العربية فان هذه العلوم تدرس كعلوم مساعدة وبقدر ما تعين على فهم الأحكام الشرعية .

الرحلة في طلب العلم :

اذا كان عصرنا الحاضر قد عرف الابتعاث للدراسة والحصول على الدرجات العلمية المختلفة المستويات والتخصص ، فان الابتعاث امتداد للرحلة في طلب العلم التي عرفت منذ عصور التاريخ المبكره : اذ قص الله علينا في القرآن خبر رحلة النبي موسى (عليه السلام) لطلب العلم^(٢٨) . كما تحدثت كتب التراجم وكتب التاريخ عن رحلات العلماء لطلب العلم والمعرفة وتنقلاتهم بين المراكز الحضارية .

وللعلماء المسلمين الحظ الأوفر في الرحلات العلمية، فقد اقتضت عملية جمع الحديث النبوي وتدوينه في القرون الثاني والثالث والرابع الهجرية (٨، ٩، ١٠م) الرحلة للبحث عن الرواة والتنقل بين المراكز العلمية في ذلك العصر في المدينة ومكة والكوفة والبصرة وبغداد ودمشق والفسطاط (القاهرة) والقيروان وبلاد الأندلس وسمرقند وخرسان حيث الرواة

(٢٨) سورة الكهف ، الآيات ٦٠ - ٨٢ .

والمحدثون ومدارس التفسير والحديث وعلوم اللغة العربية، ثم تعددت أهداف الرحلة لتلقي العلم في مختلف فروع المعرفة .

وقد شهدت بلاد نجد - في الفترة التي نتحدث عن الحركة العلمية فيها - رحلات علمية قام بها عدد من طلاب العلم داخل جزيرة العرب وخارجها .

وقد وجد في نجد عدة مراكز علمية، كان أقدمها ظهوراً بلدة أشيقر حيث عرفت كمركز للتعليم في القرن التاسع الهجري^(٣٩) (١٥م) وفي القرن العاشر (١٦م) عرف عدد من العلماء في كل من العيينة^(٤٠) وقصدها طلاب العلم للأخذ عن هؤلاء العلماء، كما تحدثت المصادر - في أواخر هذا القرن - عن ظهور عدد من العلماء في بلدة مقرن^(٤١) (الرياض) وعينزة^(٤٢).

ومن المراكز التعليمية القريبة من منطقة نجد، مكة والمدينة، والاحساء - وإن تكن الاحساء آخر هذه الثلاث ظهوراً - إذ عرفت في القرن العاشر الهجري (١٦م)^(٤٣).

أما خارج الجزيرة العربية فكان طلاب العلم يرحلون الى الشام ومصر . وكان من عادة العلماء أن يتلقوا تعليمهم في بلادهم، ويأخذوا عن الشيوخ فيها، فاذا وجدوا أن ما لديهم من حيث العمق في المادة أو تنوع العلوم لا يرضي طموحهم، ولا يروى ظمأهم، شدوا الرحال لطلب العلم، فبعضهم رحل الى الشام ومصر مثل: الشيخ زامل بن سلطان الخطيب^(٤٤)، المتوفي بعد ٩٦٩هـ/١٥٦٢م ، والشيخ محمد بن ابراهيم بن أبي حميدان المتوفي بعد عام ٩٦٨هـ/١٥٦١م^(٤٥)، والشيخ عثمان بن أحمد بن قائد المتوفي عام ١٠٩٧هـ/١٦٨٦م^(٤٦). وغير هؤلاء .

(٣٩) وثيقة وصية صبيح، مجلة العرب السنة الثانية، ٥١/١ - ٥٩ .

(٤٠) الفاخري: المصدر السالف، ص ٦٠، ٦٥ .

(٤١) تاريخ الشيخ أحمد المنقور، ط ١، الرياض ١٩٧٠م: ص ٤٤، عثمان بن بشر: عنوان المجد، ط ٢، المكتبة الأهلية بالرياض ١٣٧٣هـ - ٥٦/١ .

(٤٢) حسين بن غنام: روضة الأفكار والافهام، ط ١، القاهرة ١٩٤٩م، ٩٥/١ .

(٤٣) السخاوي: الضوء اللامع، بيروت (بدون تاريخ) ١٩٠/١، وابن بشر: المصدر السابق ٣١/١٢ .

(٤٤) المنقور: الفواكه العديدة، ط ٢، بيروت ١٩٧٩م، ٢٩٥/١، ٤٧٨ .

(٤٥) المنقور: الفواكه العديدة، ٣٨٩/٢ - ٣٩١، عبد الله بن عبد الرحمن البسام: علماء نجد خلال ستة قرون، ط ١، مكة عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ٣/٧٦٩ - ٧٧٠ .

(٤٦) محمد بن عبد الله بن حميد: السحب الوابله، على ضرائح الحنابلة، (مخطوطة) نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة ==

وبعض رحل إلى الشام ، من أشهرهم : الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوه المتوفى عام ٩٤٨هـ/١٥٤١م^(٤٧) ، والشيخ حسن بن علي بن بسام المتوفى عام ٩٤٥هـ/١٥٣٨م^(٤٨) ، وجاءت رحلته متأخرة عن رحلة الشيخ ابن عطوه فلم يدرك المسائخ الذين أخذ عنهم ابن عطوه . ومنهم الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف المتوفى عام ١٠١٢هـ/١٦٠٣م^(٤٩) .

كما رحل بعض من علماء نجد إلى مصر، منهم : الشيخ أبونمي بن عبدالله بن راجح^(٥٠) المتوفى عام ١٠١٤هـ/١٦٠٥م ، والشيخ عبدالله بن عبدالوهاب بن مشرف المتوفى عام ١٠٥٦هـ/١٦٤٦م^(٥١) .

هذه أمثلة للعلماء الذين رحلوا خارج نجد لطلب العلم ، وبما تجدر ملاحظته أن جل هؤلاء رحلوا إلى الشام ، وأن أول رحلاتهم اتجهت إلى بلاد الشام ، وهذا يفسر لنا انتشار المذهب الحنبلي في بلاد في بلاد نجد ، حيث إن أول من رحل من هؤلاء - فيما بين أيدينا الآن من مصادر - هو الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوه - الذي يعد رائد الحركة العلمية التي ظهرت في نجد في أول القرن العاشر الهجري (١٦م) - فقد رحل إلى دمشق التي كانت تغص بعلماء الحنابلة ، وأخذ العلم عن ثلاثة من كبار شيوخ الحنابلة في تلك الفترة الذين عاشوا في القرن التاسع أو أدركوا أول العاشر الهجري (١٥ ، ١٦ م) وهم المرادوي^(٥٢) وابن عبدالحادي^(٥٣) والعسكري^(٥٤) ، فلما عاد ابن عطوه إلى بلاد نجد قام بالقضاء والافتاء والتدريس على المذهب الحنبلي ، وتابعه من عاصره أو جاء بعده من علماء نجد في التلقي عن علماء الحنابلة في

خدا بخش بنته (معهد المخطوطات العربية) رقم (٣٤٦٨)، الورقة ٨٨: إبراهيم بن محمد ابن ضويان: رفع النقاب عن: تراجم الأصحاب، صورة عن مخطوطة دار الكتب والوثائق المصرية رقم (٧٣٦٩ح)، الورقة ٧٠.

(٤٧) المنقوذ: المصدر السابق ، ١/ ١٥٠.

(٤٨) البسام: علماء نجد ، ٢١٥ - ٢١٦.

(٤٩) المرجع السالف: ١/ ١٩٣ - ١٩٤.

(٥٠) ابن بشر: المصدر السابق: ١/ ٤١.

(٥١) عبدالله بن محمد البسام: تحفة المشتاق، (مخطوطة) الورقة ٤٣.

(٥٢) الشيخ علي بن سليمان المرادوي، ولد حوالي ٨٢٠هـ/١٤١٧م وتوفى عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م، ولزيد من المعلومات انظر: (السخاوي: المصدر السابق ٥/ ٢٢٥ - ٢٢٧، والشوكانى: البدر الطالع، ١/ ٤٤٦).

(٥٣) الشيخ: يوسف بن حسن بن عبدالحادي ولد عام ٨٤٠هـ/١٤٣٦م وتوفى عام ٩٠٩هـ/١٥٠٣م (السخاوي: ١٠/ ٣١٨، نجم الدين الغزي: الكواكب السائرة، ١/ ٣١٦).

(٥٤) أحمد بن العسكري الصالحى توفى عام ٩١٢هـ/١٥٠٧م (الغزي: ١/ ١٤٩، عبدالحى بن العماد: شذرات الذهب: ٨/ ٥٧).

الشام ومصر مثل : ابن النجار^(٥٥) ، والحجاوي^(٥٦) ، ومرعي بن يوسف^(٥٧) ، ومنصور البهوتي^(٥٨) ، والخلوتي^(٥٩) .

أما من رحل من علماء نجد الى أحد المراكز العلمية المحلية فذكر منهم الشيخ أحمد بن محمد المنقور^(٦٠) ، والشيخ محمد بن ربيعة العوسجي^(٦١) فقد رحل المنقور من بلده حوطة سدير الى الرياض ، وابن ربيعة من ثادق الى الرياض - ايضاً - للأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن ذهلان وكانا قرينين .

الشهادات والألقاب العلمية :

نتيجة للتقدم العلمي والفكري الذي يعيشه عالمنا اليوم فقد تطورت معايير التقييم لقياس التحصيل العلمي، وتعارف العالم على مسميات للشهادات التي تمنح لطالب العلم والمعرفة عند انجازه رحلة معينة من الدراسة حسب النظم المتبعة في الأقطار المختلفة، وغدت الشهادات العلمية أهم معايير التقييم العلمي، - ولو أنها أحياناً قد تكون غير دقيقة، أو لا تمثل الواقع العلمي للشخص - التي تؤهل الشخص للانتقال الى رحلة أعلى - إذا ما أراد مواصلة دراسته - وتعطيه الحق في مواصلة الأعمال حسب التخصص والمجال الملائم لاستعداده .

ولئن كانت الشهادات العلمية قد عرفت في الغرب قبل فترة ليست طويلة، فإن العالم الاسلامي قد عرف الشهادات أو الاجازات (Lecences) منذ عصوره المبكرة، فقد بدأت

(٥٥) هو: أحمد بن عبدالعزيز الفتوحى المعروف بابن النجار ولد سنة ٨٦٢هـ/١٤٥٨م وتوفى بمصر عام ٩٤٩/١٥٤٢م (الفري: ١١٢/٢ - ١١٣، ابن الهاد ٢٧٦/٨ - ٢٧٧).

(٥٦) الشيخ موسى بن أحمد بن موسى الحجاوي توفى بدمشق عام ٩٦٨هـ/١٥٦٠م. (الفري: الكواكب السائرة، ٢١٦/٣، ابن بشر: النسخة المخطوطة، الورقة ١٦، ابن حميد: الورقة ١٥٦).

(٥٧) الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي، توفى بمصر عام ١٠٣٣هـ/١٦٢٤م (المحيي ٣٥٨/٤ - ٣٦١، ابن حميد: المرجع السالف، الورقة ١٥٢، ابن ضويان، الورقة ٦٩).

(٥٨) الشيخ منصور بن يونس البهوتي توفى بمصر عام ١٠٥١هـ/١٦٤١م (المحيي ٤٢٦/٤).

(٥٩) الشيخ محمد بن محمد بن عبدالله الخلوتي توفى بمصر عام ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م (المحيي ١٥٣/٤).

(٦٠) تاريخ الشيخ احمد بن محمد المنقور، ص ٥٩، ٦٠، ٦٤.

(٦١) تاريخ محمد بن ربيعة (مخطوط) الورقة ٣، ٤.

الأجازة في علم الحديث منذ القرن الثاني الهجري (٨م) بأنواعها المختلفة^(٦٢)، ثم تطورت بعد ذلك فاصبحت تشمل مختلف العلوم الشرعية والعربية .

وخلال الفترة التي نحن بصدد الحديث فيها عن نجد، كانت الاجازات العلمية أمراً على جانب كبير من الأهمية، فقد حرص كثير من علماء نجد على الرحلة لطلب العلم خارج الجزيرة والحصول على الاجازات من علماء الشام ومصر التي تؤهلهم لتولي كافة الوظائف المهمة في المجتمع في ذلك الوقت كالقضاء والافتاء والتدريس والإمامة والخطابة وكتابة العقود المختلفة .

ومن حصلوا على اجازات علمية من خارج الجزيرة العربية :

- ١ - الشيخ : أحمد بن يحيى بن عطوه، فقد حصل على ثلاث اجازات من مشائخه : المرادوي وابن عبدالحادي والعسكري^(٦٣).
- ٢ - الشيخ : حسن بن علي بن بسام، ومع أنه معاصر للشيخ ابن عطوه إلا أنه رحل لطلب العلم متأخراً زمنياً عن رحلة ابن عطوه، ولذا لم يدرك العلماء الثلاثة، ولكنه أخذ العلم عن الشيخ موسى الحجاوي^(٦٤).
- ٣ - الشيخ : زامل بن سلطان الخطيب، وقد اجاز له شيخه ابن النجار في مصر، وشيخه الحجاوي في دمشق^(٦٥).
- ٤ - الشيخ : محمد بن ابراهيم بن أبي حميدان، وقد اجاز له شيخه الحجاوي^(٦٦) أن يفتي ويدرس على مذهب الحنابلة، ولما رحل إلى مصر أخذ عن الشيخ محمد ابن أحمد الغيطي^(٦٧) فأجازة في الحديث وعلومه عام ٩٦٨هـ/١٥٦٠م^(٦٨).

(٦٢) لمزيد من المعلومات حول الاجازات العلمية انظر: ابن الصلاح: علوم الحديث مطبعة الأصيل - حلب، عام ١٩٦٦م، ص ١٣٤ - ١٦٤.

(٦٣) ابن حميد: المرجع السالف، الورقة ٣٦، ابن بشر: ٣١/١.

(٦٤) البسام: علماء نجد، ٢١٥/١ - ٢١٦.

(٦٥) المنقور: الفواكه العديدة، ٢٩٥/١، ٣٩٢، ٤٧٨، ١٠٤/٢، ٣١٦.

(٦٦) المصدر السالف، ٣٨٩/٢ - ٣٩١، وقد أورد نص الاجازة .

(٦٧) محمد بن أحمد الغيطي الاسكندري المصري توفى عام ٩٨٣ أو ١٥٧٦/٩٨٤م (الغزي: ٥١/١ - ٥٣).

(٦٨) البسام: علماء نجد، ١/٣ - ٧٧٠.

٥ - أبوغني بن عبدالله بن راجح العرني، وقد درس في الأزهر بمصر على الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي وأجازه^(٦٩).

٦ - الشيخ : عثمان بن أحمد بن سعيد بن قائد، درس في مصر على الشيخ محمد الخلوئي وأجازه^(٧٠).

هذه أمثلة للعلماء الذين حصلوا على اجازات من خارج الجزيرة العربية في فترات مختلفة خلال قرنين من الزمن .

أما من حصلوا على اجازات علمية في بلاد نجد فنذكر منهم ممن وصلت اليها أخبار تحصيلهم العلمي :

١ - الشيخ : أحمد بن محمد المنقور، درس على ابن ذهلان ورحل اليه خمس مرات وأجازه في الفقه^(٧١).

٢ - الشيخ : فوزان بن نصرالله بن مشعاب، درس على الشيخ أحمد بن محمد القصير^(٧٢) وأجازه أن يروى عنه ما تجوز له روايته بشرطه المقيد عند أهله^(٧٣).

٣ - الشيخ : عبدالله بن محمد بن فيروز بن بسام، درس على الشيخ عبدالوهاب بن عبدالله بن مشرف^(٧٤) وأجازه ان يفتي ويدرس في الفقه وأصوله^(٧٥).

وكما عرف عصرنا الألقاب العلمية مثل: الأستاذ، والأستاذ المشارك، والأستاذ المساعد.. الخ، فقد كانت في نجد ألقاب علمية في القرون «٩، ١٠، ١١، ١٢» (١٥، ١٦، ١٧، ١٨) وبقيت هذه الألقاب حتى الآن تؤدي قريبا من مدلولها آنذاك، وهذه الألقاب :

(٦٩) ابن بشر، ٤١/١، البسام : المرجع السالف، ١٥٢ - ١٥٣.

(٧٠) ابن حميد: المرجع السالف، الورقة ٨٨.

(٧١) المنقور: الفواكه العديدة، ٣٩٢/٢، ابن حميد: الورقة ٣٢.

(٧٢) الشيخ: أحمد بن محمد بن حسن القصير من أهل أشير تلقى العلم على الشيخ سليمان بن علي بن مشرف (ت ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م) والشيخ عبدالله ابن ذهلان قاضي الرياض (ت ١٠٩٧هـ/١٦٨٧م) وتوفي الشيخ القصير عام ١١١٤هـ/١٧٠٢م (ابن ربيعة: (مخطوط) الورقة ٥، وابن حميد: الورقة ٨٢).

(٧٣) البسام: علماء نجد، ٧٦١/٣ - ٧٦٣.

(٧٤) الشيخ : عبدالوهاب بن عبدالله بن عبدالوهاب بن مشرف أحد علماء نجد توفي عام ١١٢٥هـ/١٧١٣م.

(٧٥) ابن حميد: الورقة ٨٦.

الشيخ : ويطلقون هذا اللقب في الأصل على القاضي، وهو بحكم مؤهله ومنصبه يتولى - بالإضافة الى القضاء - الافتاء والتدريس وامامة المسجد الجامع والخطبة فيه ، كما يقوم الى جانب ذلك ببعض الوظائف الأخرى مثل عقود الأنكحة وكتابة الصكوك والمستندات .

وقد يحصل بعض العلماء النابهين على لقب «الشيخ» إلا أنه لا يتولى منصب القضاء لعدم رغبته فيه، ويقوم بالتدريس والافتاء والتأليف وغير ذلك.

المطوع : ويطلق هذا اللقب على من مرتبته العلمية أدنى من مرتبة الشيخ فيلقب به أئمة المساجد وطلبة العلم ومعلمو الصبية .

غلماء نجد وآثارهم :

إذا ما استعرضنا ما بأيدينا - الآن - من وثائق ومخطوطات^(٧٦) وكتب مطبوعة^(٧٧) نجد أن هناك قرابة مائة عالم عاشوا في القرنين والنصف السابقين على ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٩٠٠ - ١١٥٠هـ = ١٤٩٤ - ١٧٣٧م) عرف منهم ممن وصلتنا أخبارهم أكثر من عشرين عالماً في القرن العاشر الهجري (١٦م)، وحوالي ثلاثين عالماً عاشوا في القرن الحادي عشر الهجري (١٧م)، وأكثر من أربعين عالماً عاشوا في النصف الأول من القرن الثاني الهجري (النصف الأول من القرن ١٨م) .

أما آثار علماء نجد، فإن الحديث يطول بنا لو أردنا استعراضها فضلاً عن استقصائها. ولعل من الصعب تتبع جميع ما أثر عن هؤلاء العلماء لأن جانباً منه لا يزال مخطوطاً، وغير متداول حتى بين المختصين .

ومن واقع ما بين أيدينا الآن نجد أن آثار هؤلاء العلماء تمثلت في المؤلفات، والفتاوى، والرسائل المتبادلة بين العلماء، والمسائل وبحث القضايا التي وجدت في مجتمعاتهم ومناقشتها

(٧٦) من هذه المخطوطات : تاريخ ابن ربيعة، وتاريخ ابن يوسف، وتاريخ ابن عباد، والسحب الوابلة لابن حميد، ورفع النقاب لابن ضويان، وتحفة المشتاق لابن بسام.

(٧٧) من أمثلة الكتب المطبوعة: تاريخ الشيخ أحمد المنقور، وكتابه الفواكه العديدة. وتاريخ الفاخري، وعنوان المجد لابن بشر، وتاريخ بعض الحوادث لابن عيسى، وكتاب علماء نجد لعبدالله بن عبدالرحمن البسام.

علميا، وقد يصل الجدل بهؤلاء العلماء الى تحكيم علماء يرونهم أرسخ قدما وأوسع اطلاعا منهم لمعرفة رأيهم، ومن ذلك الخلاف الذي حصل بين الشيخ عبد الوهاب بن سليمان^(٧٨) وبين الشيخ عبدالله بن عضيف^(٧٩) أحد كبار علماء عنيزة حول إحدى المسائل الربوية، وتحكيمها الشيخ عبد الباقي ابا المواهب^(٨٠) - مفتي الحنابلة في دمشق^(٨١) -، ومثل ذلك ما ثار من جدل بين الشيخ ابن عضيف نفسه وبين تلميذه عبدالله بن سليمان بن زامل ومحمد بن علي بن زامل حول قبول شهادة الشخص على فعل نفسه واستفتائها للشيخ أحمد بن محمد القصير^(٨٢). ومن ذلك القضية التي أجاب فيها الشيخ سليمان بن علي بن مشرف بعلم إدلاء الأدنى درجة مع من هو أعلى منه في الوقف قياسا على الحجب في الأثر، ثم رجع فأجاب باستحقاق الأدنى لوجود نص الواقف مما اقتضى مكتابة علماء مكة فأيدوا رأيه الأخير^(٨٣).

ومع أن آثار هؤلاء العلماء تدل على أنهم قد طرّقوا بمؤلفاتهم عدة تخصصات في الفقه والتاريخ والتوحيد والنحو إلا أن جل اهتمامهم انصبَّ على الفقه الحنبلي . ومن العلماء الذين لهم إنتاج علمي :

الأول - في الفقه :

١ - الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوه التميمي عرف من مؤلفاته أربعة كتب، كتاب : الروضة «الأنية»^(٨٤)، وكتاب : «عقيان القلائد ودرر الفوائد»^(٨٥)، وكتاب : «التحفة

(٧٨) الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف - والد الشيخ محمد بن عبد الوهاب إمام الدعوة - ولي قضاء العيينة حتى عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م ثم حرملاء حتى وفاته ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م.

(٧٩) الشيخ عبدالله بن أحمد بن عضيف أخذ العلم عن الشيخ عبدالله بن زهلان والشيخ أحمد القصير والشيخ عبد الوهاب بن عبدالله بن مشرف وولي قضاء عنيزة ثم اعتزله وتفرغ للتدريس والبحث فيها حتى توفي عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م.

(٨٠) الشيخ عبد الباقي أبو المواهب عالم جليل أثنى عليه ابن حميد في السحب الوابلة، الورقة ٤٣ - ٤٤ وقال انه ولد عام ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م وتوفي عام ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م.

(٨١) ابن حميد: المرجع السالف: الورقة ٧٦ - ٧٧.

(٨٢) مجموعة الرسائل والمسائل التجدية، مطبعة المنار بمصر. ط ١، ١٩٢٨م ٧٥٦/١.

(٨٣) هم: عبدالله بن سعيد بن قشير الشافعي، وأبو الكرم محمد الزنجبيلي الحنفي، وعبدالله بن محمد المكي الحنفي، وأحمد تاج الدين المالكي الانصاري الخطيب والامام بيلد الله الحرام، وجمال الدين بن ظهير الحنبلي (المنقور: الفواكه ٥١١/١).

(٨٤) المنقور: الفواكه، ١/ ١٠، ٢٣، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢١٢، ٢٣٠، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦٥، ٣٠٧، ٤٠٦، ٥٥١، ٣٣/٢. المنقور: المصدر السالف، ١/ ١٢٦، ١٥٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٨٩/٢.

البديعة»^(٨٦)، وكتاب : «القواعد»^(٨٧). وهذه الكتب لم تصل إلينا مستقلة، وإنما ضمن كتاب المنقور «الفواكه العديدة» حيث نقل عن ابن عطوه في مائة وسبعة مواضع من كتابه، عزى بعضها إلى كتبه، واكتفى بنسبة النقل إلى اسمه في مواضع أخرى، ولا يعني هذا ضرورة أن هذه الكتب مفقودة فقد تكون موجودة لدى بعض المعنيين .

٢ - الشيخ : اسماعيل بن رميح بن جبر العرنبي المتوفي حوالي ٩٧٠هـ/١٥٦٢م^(٨٨) ألف كتابا في الفقه سماه «المجموع» واشتهر باسم مجموع ابن رميح وقد نقل عنه المنقور في عدة مواضع^(٨٩)، وذكر البسام أنه طبع باسم «التحفة»^(٩٠).

٣ - الشيخ : محمد بن أحمد بن اسماعيل المتوفي عام ١٠٥٦هـ/١٦٤٩م^(٩١) له رسالتان في الفقه: إحداهما رد بها على تلميذه الشيخ أحمد بن محمد بن بسام، وتقع في ثلاث صفحات، وقد طبعت ضمن كتاب المنقور «الفواكه العديدة»^(٩٢)، والأخرى في خمس صفحات طبعت مع «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»^(٩٣) بالإضافة إلى أن المنقور نقل جانباً من فتاواه وآرائه الفقهية في أكثر من خمسين موضعاً من كتابه .

٤ - الشيخ : سليمان بن علي بن مشرف - جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة - أحد فقهاء نجد المشهورين توفى عام ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م ألف كتابا في المناسك^(٩٤) وله رسائل وفتاوى ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية في اثنتي عشرة صفحة^(٩٥)، كما نقل المنقور كثيراً من آرائه وأحكامه الفقهية في أكثر من ستين موضعاً من كتابه .

٥ - الشيخ : عثمان بن أحمد بن قائد، له مؤلفات في عدد من العلوم الإسلامية، وأهم مؤلفاته

(٨٦) المنقور: المصدر السالف ٢٦٥/١، وابن حميد: السحب الوابلة. الورقة ٣٦.

(٨٧) المنقور: المصدر السالف ٤٠٨/١، ٣٤/٢.

(٨٨) البسام: علماء نجد، ٢٠٨/١ - ٢٠٩.

(٨٩) الفواكه العديدة ، ١٢٢/١، ١٦٣، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٣٩٢، ٤٨١، دزد، ٤٨/٢، ٧٧.

(٩٠) علماء نجد، ٢٠٨/١.

(٩١) ابن ربيعة: الورقة ٢.

(٩٢) ٢٤٧ - ٢٤٥/٢، ٢١٥/١.

(٩٣) ٧٣٧/١ - ٧٤٢.

(٩٤) ابن بشر: المرجع السالف، ٧٢/١.

(٩٥) ٥١٠/١ - ٥٢٢.

في الفقه كتاب «هداية الراغب شرح عمدة الطالب»^(٩٦)، وقد طبعه محمد سرور الصبان الأمين العام السابق لرابطة العالم الاسلامي^(٩٧)، وحاشية على كتاب «منتهى الارادات» لاتزال مخطوطه، ورسالة في أحكام الرضاع^(٩٨).

٦ - الشيخ : عبدالله بن محمد بن ذهلان المتوفي عام ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م ، وقد شغلته مهام القضاء والتدريس والافتاء عن التفرغ للتأليف، إلا أن آثاره العلمية وصلت إلينا مما نقله عنه تلميذه الشيخ أحمد المنقور حيث لم تخل صفحة من صفحات كتابه التي بلغت ٩٤٧ صفحة من نقل أو أكثر عن شيخه ابن ذهلان .

٧ - عبدالرحمن بن عبدالله بن سلطان بن خميس الملقب بأباطين، ألف كتابا في الفقه سماه «المجموع فيما هو كثير الوقوع» وقد فرغ من تأليفه عام ١١١٣هـ وتوفي عام ١١٢١هـ/١٧٠٩م^(٩٩).

٨ - الشيخ : أحمد بن محمد المنقور أحد علماء نجد البارزين، وقد ذكر المؤرخ محمد بن يوسف وفاته عام ١١٢٥هـ/١٧١٣م وتابعه في القول بذلك من جاء بعده من المؤرخين^(١٠٠)، إلا أنني إطلعتُ على وثيقة شرعية كتبها وحكم بها في عام ١١٢٨هـ/١٧١٦م وتناقلها الثقة^(١٠١) حتى وصلت إلينا مما يدل على أن عاش بعد هذا التاريخ .

ألف الشيخ المنقور كتابه الجليل «الفواكه العديدة في المسائل المفيدة» في جزئين بلغ مجموع صفحاتها مع الفهارس (١٠٣٦) طبع مرتين: الأولى بدمشق عام ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ، والثانية في بيروت عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م . كما ألف كتاباً في المناسك قام بطباعته آل ثاني حاكم قطر عام ١٩٥٩م ولم اطلع عليه .

(٩٦) ابن حميد: المرجع السالف، الورقة ٨٨.

(٩٧) البسام: علماء نجد، ٣/٦٨٥.

(٩٨) ابن حميد: المرجع السالف، ٨٨.

(٩٩) المنقور: ص ٨١، الفاخري: ص ٩٣، ابن بشر: ١٦٧/٠، ابن حميد: الورقة ٦٦، ابن عيسى: ص ٨٩.

(١٠٠) تاريخ ابن يوسف (مخطوط)، الورقة ٢.

(١٠٠) الفاخري: ص ٩٥، ابن بشر ١/١٨٥، ابن عيسى: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص ٩٠.

(١٠١) هم الشيخ محمد بن عبداللطيف الباهلي، ثم الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى ثم الشيخ عمر بن محمد بن فتوح.

الثاني - في التاريخ :

١ - الشيخ : أحمد بن محمد بن بسام، أحد فقهاء نجد وقضاتها، توفي حوالي ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م^(١٠٢) كتب نبذة تاريخية مختصرة أرخ فيها لتسع سنوات غير متوالية ولم يصل الينا تاريخه مستقلا وإنما ضمن النسخة المخطوطة لتاريخ المنقور وضمن تاريخ ابن ربيعة المخطوط .

٢ - الشيخ : أحمد بن محمد المنقور، وقد ألف - بالاضافة الى كتابيه في الفقه - كتابا في التاريخ دَوّن فيه احداث ثمان وخمسين سنة تبدأ بعام ١٠٤٧هـ/١٦٣٧م وتنتهي عام ١١٢٣هـ/١٧١١م^(١٠٣)، وأحداثها غير منتظمة خاصة في السنوات السابقة على عصر المؤلف، وقد قام الاستاذ الدكتور عبدالعزيز الخويطر بتحقيق هذا الكتاب ونشره بالرياض عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م. وقد بلغ مجموع صفحات الكتاب مع الدراسة والفهارس «١٠٨ صفحة».

وقد عثرت على نسخة مخطوطة لتاريخ المنقور تزيد ١٢ سنة في البداية حيث تبدأ عام ٩٤٨هـ/١٥٤١م إلا أن هذه الزيادة فيها فجوات كبيرة في تسلسلها التاريخي .

٣ - الشيخ : محمد بن ربيعه العوسجي أحد علماء نجد وقضاتها ولد حوالي عام ١٠٧٠هـ/١٦٦٠م وتوفي عام ١١٥٨هـ^(١٠٤) ، ألف كتابا في التاريخ لا يزال مخطوطا ويعد أوفى ما كتب في التاريخ المحلي عن نجد قبل قيام الدولة السعودية، ويقع في ثمانى ورفات ونصف، في كل صفحة (٢٦ سطرا) ويتراوح عدد كلمات السطر الواحد بين ١٥، ١٠ كلمات. وقد أرخ لقرنين من الزمان بدأت عام ٩٤٨هـ/١٥٤١م وانتهت بجزء من أحداث عام ١١٤٨هـ/١٧٣٥م^(١٠٥).

وقد اتبع هؤلاء المؤرخون من علماء نجد في كتاباتهم للتاريخ منهج المدرسة الاسلامية الذي سلكه الطبري وابن الجوزي وابن الأثير وابن كثير وغيرهم من حيث اتباع نظام

(١٠٢) ابن عيسى. المصدر السالف، ص ٥٢، ٥٠.

(١٠٣) تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور، ص ٤٣، ٨٢.

(١٠٤) الفاخري: ص ١٠٥، ابن بشر ٢٣/١، ابن حميد: الورقة ١٢١.

(١٠٥) قام كاتب هذا البحث بدراسة وتحقيق هذه المخطوطة وسوف تنشر قريبا.

الحوليات، وعدم وحدة الموضوع، اذ دونوا أخبار الحروب والغزوات والاغارات بين القبائل، وبين القرى، وبين البادية والحاضرة، ووفيات الأعيان، ورصد الظواهر الجوية، والآفات التي تتلف المحصولات الزراعية، كما عنوا بذكر ارتفاع الأسعار وانخفاضها .

الثالث - التوحيد والنحو :

١ - الشيخ : عثمان بن أحمد بن قائد، ألف - بالاضافة إلى كتابيه في الفقه - رسالة في التوحيد سماها «نجاه الخلف في اعتقاد السلف» وقد نشر الشيخ محمد جميل الشطي مفتي الحنابلة في دمشق هذا الكتاب عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م وبلغت صفحاته ثنائي عشره . كما ألف رسالتين في النحو، احدهما في أيّ المشدده لاتزال مخطوطة وتوجد نسخة منها في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٢٠٤ نحو. والأخرى سماها «كشف الضوء في معنى «لو» وماتزال مخطوطة في المكتبة نفسها تحت رقم ٢٠٩ نحو^(١٠٦) .

انتهى البحث
والحمد لله رب العالمين

(١٠٦) البسام: علماء نجد، ٣/ ٦٨٦ .